بسم الله الرحمن الرحيم

قصة سبأ دروس وعبر ١٦/ ٦/ ١٤٤٢هـ

فيقول الله عز وجل ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾

عباد الله : سبأ قبيلة في اليمن، ومسكنهم بلدة مأرب. كانوا في أرض مخصبة، وقد ارتقوا في سلم الحضارة حتى تمكنوا من جمع مياه الأمطار ، فأقاموا سدا عظيمًا بين جبلين عظيمين، به عيون تفتح وتغلق، وخزنوا المياه بكميات عظيمة وراء السد، وتحكموا فيها وفق حاجتهم، فكان لهم من هذا مورد مائي عظيم أطلق عليه سد مأرب.

وكان من أثر ذلك الرخاء والوفرة، والمتاع الجميل ،جنتان عن يمين وشمال، قال قتادة: كانت بساتينهم ذات أشجار وثمار، تسرُّ الناس بظلالها، وكانت المرأة تمشي تحت الأشجار وعلى رأسها مكتل أو زنبيل، فيتساقط من الأشجار ما يملؤه من غير

كلفةٍ ولا قطاف، لكثرته ونضجه، فكانت آية تذكرهم بالمنعم الوهاب سبحانه وتعالى، وقد أمروا أن يستمتعوا برزق ربهم شاكرين له، وذكرهم بنعمة البلد الطيب، ومن زيادة نعمه المغفرة على التقصير والتجاوز عن السيئات.

فلا إله إلا الله، سماحة في الأرض بالنعمة والرخاء، وسماحة بالعفو والغفران من رب الأرض والسماء، فماذا يقعدهم عن الحمد والشكر لذي الجلال والإكرام؟!

ولكنهم أعرضوا عن شكر الله، ولم يعملوا بما أمرهم الله، وأساؤوا فيما أنعم الله عليهم، وما أحسنوا، فكانت العقوبة من الله بأن سلبهم تلك النعم ، فأرسل عليهم سيل العرم الجارف الذي حطم ذلك السد العظيم. قال الطبري: وحين أعرضوا عن تصديق الرسل ثقب ذلك السدّ الذي كان يحبس عنهم السيول، ثم فاض الماء على جناتهم فغرَّقها، وخرَّب أرضهم وديارهم، فتفجرت المياه المحتجزة، فأغرقت ودمرت ذلك النعيم، وبعدها جفت الأرض واحترق الزرع، فبدلت الجنان الفيحاء، والبساتين الغناء، بأرض قاحلة مقفرة، بها نبات ذو شوك وأثل ، وشيء من سدر قليل ، وضيق عليهم الرزق، وبدلهم من الرفاهية والنعماء بالشدة والخشونة واللأواء.

عباد الله: ولقد كان عمرانهم متصلاً بينهم وبين القرى المباركة: مكة والشام، فيخرج المسافر من قرية، ويدخل القرية الأخرى، ولما يظلم الليل ، إذا هم آمنون مطمئنون. ولكن غلبت على قوم سبأ الشقاوة فلم يتعظوا بالنذير الأول، ولم يرجعوا إلى ربهم ويستغفروه، بل دعوا دعوة الحمق والجهل قائلين: ﴿رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُواْ

أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾. واستجاب الله دعوتهم، ففرقهم في الأرض وبدد شملهم بعد أن كانوا مجتمعين، وصاروا أحاديث يرويها الرواة وقصة يعاد ذكرها على الألسن والأفواه، فأزالهم الله بعد أن كانوا أمة لها شأنها بين الأمم، فما أهون الخلق على الله إذا هم خالفوا أمره.

الخطبة الثانية :

أيها المسلمون : تأملوا أثر المعاصي والذنوب ،كيف حولت أمة ممكنة في أرضها، ترفل في خيراتها ،بطيب أرضها، وتقارب أسفارها، ومغفرة ربها، فصارت أحوالها منكوسة، فبُدلوا بالفرقة بعد الاجتماع، وبمحق البركة بعد طيب البقاع، وبتباعد الأسفار بعد تقاربها، واستُبدلوا بعد الأمن خوفًا، وبعد العز ذلاً. واحذروا عباد الله من الأمن من مكر الله جل وعلا، واحذروا من طول الأمل، ولا يغتر المرء بنعم الله وهو على معاصيه، فإن ذلك استدراج لهلاكه.

وتذكروا أن الجحود والنكران لنعم الله ، يعرضها للزوال، وانقلاب الأحوال وهذه السنة ثابتة لا تتبدّل أبدًا، وتنزل على كل من كفر بنعمة الله تعالى ولم يؤد حقها من الشكر وصدق الله: ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ ءامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مّن كُلّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ كما أن الشكر يحفظ النعم ويزيدها ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ

كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ واحذروا من التبذير والإسراف، ومن الإعراض عن دين الله تعالى ومبارزته بالمعاصي والمجاهرة بها.